بعض المذابح كما ترى في كنيسة ماري جرجس كرسي اهدن ليغسل بها الكهنة والرؤساء ايديهم في خدمة الاسرار » (ص ١٤٥)

وكان امام المذبح دربزين وهو بمثابة الايقونستاس في كنائس الروم وكان لهُ مثلهُ ثلاثة ابواب بيد انهُ كان يختلف عنهُ بامور . قال الدويهي إمام المؤرخين الموارنة : « اوجب آباؤنا الاطهار ان تكون ابواب الدربزين مفتوحة وجدرانهُ غير مسطومة بل مصنوعة بثقوب على مثال شبكة حتى يتمكّن الجميع من مشاهدة الاسرار . ولكنّهم امروا الشمامسة ان يسبلوا الاستار في اوقات معلومة اجلالاً للاسرار (ص١٣٥)»

فكان اذًا الايقونستاس عند الموارنة اشبه بشبّك ليس بناء مصمتاً كما في كنائس الروم . ولعلّهُ كان « كالشعريّة » التي تفصل بين الرجال والنساء في كثير من كنائس لبنان الّا انهُ كان متقن الصُنع . وقد شهدنا في كنيسة السيدة في حدتون قطعةً من هذا الدربزين القديم . ولا علم لنا أبقي منهُ في بعض الكنائس ام لا . امّا في عهد الدويهي فكانت هذه الدرابزين شائعة كما اثبت ذلك في منارة الاقداس (ص ١٢٨)

(ستأتي البقيّة)

مطالب في بحث المطالب

للقس الفاضل جرجس منش الحلبي الماروني

يعلم الجميع انهُ لم يبلغ كتاب من كتب المتأخرين في علم العربيّة ما بلغ اليهِ هذا الكتاب « بحث المطالب » من ترامي الذكر وبُعد الشهرة وكثرة تداول الايدي لهُ واشتغال الناس بهِ على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم وإجماعهم على ايثارهِ وتفضيلهِ على ما سواه من الكتب الموضوعة في فنّي الصرف والنحو وتسابقهم الى طبعه ونشره مصدّرًا باطراء مؤلّفهِ الشهير الى غير ذلك مما حملنا على ان نفرد لهُ هذه المطالب التابعة في الكلام عليهِ مؤلّفًا ومخطوطاً ومطبوعاً ومختصرًا فنقول وبالله الاستعانة على الابانة

مطلب اوّل في الكتاب مؤلّفًا

رحمة الله ورضوانه على نفس مؤلّفهِ العالم العلّامة المدقق والامام الفهّامة المحقق السيد جرمانوس فرحات الحلبي الماروني الشهير فانهُ لما رأى « اقبال المستفيدين من

المسيحيين منصبًا نحو معرفة القواعد العربيّة . . . لكن يدهم تقصر عن الوصول الى غايتها لاسباب . . » جذبتهُ « عند ذلك يد العناية الالهية بجذب حنين الطبيعة الابوية الى احالة الحال المعجم وازالة الامر المبهم (١ » فألّف في سنة ١٧٠٥ كتابًا سمّاه « بحث المطالب » فجاء ضخمًا جامعًا قواعد الصرف والنحو وشواردهما واتبعهُ في سنة ١٧٠٦ بكتاب حواشٍ عليه اتحفني منهُ بعض الاصحاب بكرّاسين يحتويان على حواشٍ على القسم الاول من كتاب النحو ولا اعلم عنهما غير انهما من مخطوطات اوائل هذا العصر التاسع عشر

بيد ان المؤلف رحمهُ الله تعالى لمّا رأى صعوبة نسخ ذلك الكتاب الكبير وتعذُّر تحصيل ما فيهِ من المطالب المبهمة اختصرهُ في اواخر عام ١٧٠٧ تسهيلًا لروّام علم العربيّة وسمّى ايضًا هذا المختصر « بحث المطالب » وهو هو المتعارف بين الجمهور والمتداول من ايدي الناسخين والطابعين الى هذه الايام . امّا البحث الكبير فاغتالتهُ ايدي الضياع على ما اظنّ لعدم تداولهِ وهذا هو الباعث الاول الذي حملني على تسطير هذه النبذة لعلّ الباحثين يعثرون عليهِ فيتحفون بهِ عالم العلم والادب . هذا ما امكن تحصيله عن الكتاب مؤلّفًا اوردتهُ مأخوذًا عن نسخة من المختصر يقول كاتبها انها « مختصرة من بحث كبير للمؤلف (٢ » وعن فهرست مؤلفات المؤلف والاثنتان « اي النسخة والفهرست » مخطوطتان في طوالع هذا القرن (٣

مطلب ثانٍ في الكتاب مخطوطًا

قال صاحب « جامع الروايات في اخبار جبريل فرحات » (٤ ما محصّلهُ : كان في عام

١) ذفرٌ من مقدمة المؤلف رحمهُ الله عليهِ

٢) هذه النسخة لرفيقي في المدرسة الحوري الجليل بطرس وهبه من شحتول في كسروان

٣) قد بحثنا في قائمة المخطوطات المصونة في أمّهات مدن اوربّا لعلنا نجد سندًا لهذه الرواية فلم نقف على شيء سوى انّ النسخة التي في خزانة باريس تدعو كتاب الطيب الذكر المطران جرمانوس فرحات « بحث المطالب وحثّ الطالب » . وهو اسم يختلف عن الاسم الدارج في اغلب النسخ المطبوعة « بحث المطالب في العربيّة » اللهمّ الّا ما ورد في مقدّمة المعلم بطرس البستاني الذي وافق النسخة الباريسيّة في تسمية الكتاب . على انّ اختلاف الاسم لا يدلُّ على اختلاف المضمون . وتعلم حقّ العلم انّ النسخة الباريسية كاخواتها الثامنة عندنا (المشرق)

٤) لا اعلم عن هذا الكتاب ومؤلّفهِ شيئًا لاني لم احصل منهُ الّا على جزء يسير

١٧١٠ ان بلغ بحث المطالب الى احد طلبة المسلمين فنقلهُ وغيَّر اسم مؤلِّفهِ وشواهدهُ وبعض تركيبه واهداه الى احد اصحابهِ من علماء القسطنطينيَّة فلمَّا تصفحهُ هذا العالم وجده عقد درٍّ محكم التنضيد فاعجبهُ غاية الاعجاب. ثمَّ قدم بعد حين الى طرابلس الشام لامرٍ يعلمهُ الله تعالى فاطلعهُ احد النصارى على البحث واعلمهُ بان مؤلِّفهُ راهب يسمَّى جبريل فرحات ويقيم في دير مار اليشع النبي قرب قرية بشرّاي فانذهل ذلك العالم وعلق يترقب جبريل الى ان عثر عليهِ فسألهُ: هل انت جبريل فرحات. فقال: اجل. فباحثهُ العالم طويلاً في العلوم ثم سألهُ: هل انت مؤلف البحث كما قال لي احد جماعتكم. فقال: بلى. فطلب العالم عندئذٍ نسخة منهُ فاستأتى لهُ بواحدةٍ من خطّ يدهِ المباركة فاثنى عليهِ ثناء طيّباً

واعلم ان المعلم بطرس البستاني ليس هو اول من ندّد بهذا الكتاب(١ فقد سبقهُ الى ذلك احد الملكيين الذين عاشوا في اوائل هذا القرن. قال « ان اسقفهُ دعاه الى التنديد فقعل مكرهاً . . . دون ان يذكر اسمهُ تواضعاً . . . ». اما تنديده فعلى اغلاط النسخة التي وقعت لديه ليس غير ونظنّ انها مكتوبة في اواسط القرن الماضي(٢. هذا ما عرفناهُ عن الكتاب مخطوطاً فبسطناهُ تلخيصاً

مطلب ثالث في الكتاب مطبوعاً

ان هذا الكتاب الجليل الفائدة كما تداولتهُ ايدي الناسخين نحواً من قرن ونصف قرن هكذا تداولتهُ ايدي الشارحين والطابعين مراراً فأطرأوهُ ومؤلِّفهُ معاً. قال المعلم بطرس البستاني في مقدمته عليهِ انهُ « اسهل ما أُلِّفَ من كتب الصرف والنحو مأخذاً واقربها تناولاً واعظمها نفعاً لكونهِ من احسنها ترتيباً ». وقال في مؤلِّفهِ ما حرفه: « وانا اعترف بفضله علماً وعملاً واشهد لهُ أنهُ منقطع النظير بين الملّة المسيحيَّة في علم العربيَّة »

---

١) ليست في الغالب اصلاحات المعلم بطرس البستاني تنديداً وهو القائل في مقدّمته: « واقول اني لم اتعقَّب عثارهُ على سبيل التنديد كأنهُ قد اخطأ واصبتُ بل تنبيهاً للمطالع ان يتبصَّر في احد القولين فيقضي لاحدهما وامدَّهُ يقضي عليَّ فالتنديد لائقٌ لا يستحيل ان اكون قد ركبتُ شططاً . . . واقرُّ باني قاصر عن البلوغ الى بعض طبقاتهِ. فان كنتُ اصبت ففي الروايا خبايا وان كنت قد اخطأتُ فلمثلي الخطأ » (المشرق)

٢) وهذا دليل على انَّ النسخ التي نُقلت بعد زمن المؤلف بقليل تشوَّهت بالاغلاط (المشرق)

وقال المعلم سعيد افندي الشرتوني في الكتاب انهُ « باكورة التصانيف النصرانية » وانهُ « يحتوي لباب كتب المتقدمين وينطوي على خلاصة تآليف المتأخرين ». وقال في مؤلفهِ انهُ « مرجع المحفل العصري وخطيب المنبر النحوي » الى غير ذلك من النعوت والاوصاف التي اطرأ بها الناسخون الكتاب ومؤلفهُ الشهير . وهاك تعدد طبعاته المختلفة منذ ابرازه الى عالم المطبوعات

فطبعة مالطة الاميركية هي اول مطبعة طبعت هذا الكتاب في سنة ١٨٣٦ وصدرتهُ بنقوش هيروغليفية (المشرق ٣ : ٥٠٤) وختمتهُ باعراب امثلتهِ دون ان تحدث فيهِ شيئاً بل تركتهُ كما وصل اليها من ايدي النساخ(١ . ثمَّ ان مطبعة الحكومة اللبنانية طبعتهُ على مثال الطبعة السابقة الذكر(٢ . ثمَّ ان المطبعة الاميركية البيروتية طبعتهُ ايضاً في سنة ١٨٤٥ بعد ان اضاف اليهِ المعلم بطرس البستاني (المشرق ٣ : ٥٠٦) حواشي وتعاليق ضافية الذيول سوَّلت لهُ ان ينسب الكتاب لنفسه(٣ فسماه « مصباح الطالب في بحث المطالب ». غير انهُ افرط بتنديده بالكتاب ومؤلفهِ رحمهُ الله تعالى . فمن هذا تنديدهُ بجدّ الحال (ص ٢٩٣ من طبعته) اذ قال : « أَنَّهُمَ غير مأنوس » مع ان زيادة النون في « أَنَّهُمَ » من النساخ بلا شكّ . ومن ذلك تنديده بتعريف الموصول (ص ١٤٣) اذ قال : « والصحيح جزءا بالنصب » مع ان اسقاط الالف من جزء هو من الناسخين ايضاً . الى غير ذلك من الاغلاط النسخية التي لا يتصور عاقل انها تقع لرجل علَّامة كبير كالمؤلف شهد لهُ المندّد « بانهُ منقطع النظير . . . في علم العربية » فلو راعى ما احدثه النساخ في الكتب المخطوطة من حذف وزيادة لما تعرَّض لأمثال تلك الاغلاط السخيفة . فقل تبارك من استأثر بالكمال وحدهُ

ثم طبعتهُ المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين الفضلاء في سنة ١٨٦٥ على مثال

---

١) بل اضاف متولي طبعهِ في مالطة (ونظمهُ فارس الشدياق) نحو خمسين ملاحظة على الاصل في ذيل الكتاب (المشرق)

٢) تمَّت هذه الطبعة سنة ١٨٧٦ . وقيل في ختامها « تمَّ طبع هذا المؤلَّف على النسخة المطوَّلة بقلم المؤلف خلا الخاتمة في الاعراب » . ومن قابل هذه الطبعة بطبعة المعلم بطرس البستاني لا يخامرهُ ريب في ان صاحبها جرى على طبعة المعلم بطرس في اكثر المواضع . ومن ثمَّ فقولهُ على النسخة المطوَّلة بقلم المؤلف دعوى بلا دليل (المشرق)

٣) في هذا القول غلوّ لأن المعلم بطرس البستاني بوسم هذا الاسم لم ينو نسبة الكتاب الى نفسهِ (المشرق)

الطبعتين السالفتين دون تغيير شيء منهُ . ثمَّ طبعتهُ في سنة ١٨٨٣ مصحَّحاً بتلميذ المعلم الفاضل سعيد افندي الشرتوني واعادت طبعهُ ستّ مرّات متتالية (المشرق ٣ : ٨٠٧) وهنا مقام نثني فيهِ على المصحح اللغوي لاعتدال لهجتهِ في اصلاح اغلاط الناسخين وتعقُّبهِ عثار من اراد ان يحطَّهُ عن منصَّة الامامة . ثمَّ طبعتهُ في هذه الايام المطبعة اللبنانية عن نسخة بخطّ المؤلف وذلك باهتمام جناب البارع خليل افندي باخوس (١ صاحب امتياز جريدة الروضة . والطبعة المذكورة تحت مناظرة الاب الفاضل الخوري نعمة الله باخوس الذي أتى على كتابي الصرف ببعض حواشيهما . وجناب الاستاذ العلّامة عبد الله افندي البستاني الذي زاد على مطالب كتاب النحو فوائد (٢ . فنهدي طابعي الكتاب وشارحيه شكراً رثاء ينتشر طيبهما على آخر الدهر

---

١) سرّنا كون جناب خليل افندي باخوس عثر على نسخة بخطّ المؤلف . ولكن كنّا نحبُّ ان يُبيّن ذلك بادلّة قاطعة لانَّ ما جاء في مقدّمة هذه الطبعة الجديدة لا يقنعنا البتّة وهذا قولهُ بالحرف : « اما نسبة هذه النسخة الى خطّ يد المؤلف نفسهِ رحمهُ الله فهي قائمة بحجّة دامغة تصدع بالحقّ وتثبت الدعوى باتمّها رقم بنانهِ الطاهرة هي خلوُّها عمَّا كان المتقدمون يرونهُ من المغامز في غيرها من النسخ الخطيَّة » . قلنا انَّ هذا ليس « بحجّة دامغة » لانهُ امكن احد اسلافهِ ان يصلح هذه الاغلاط . ثمَّ انّنا قابلنا بين الطبعة الجديدة وبين نسخ خطيَّة قديمة هي في مكتبتنا الشرقيَّة وعند غيرنا من الادباء يشهد على احداها بعض الاساقفة انها منسوخة عن النسخة الاصلية فزاد ارتيابنا في قول الكاتب لاننّا وجدنا في هذه النسخ الخطيَّة عدَّة فوائد لا اغلاطاً لم نجدها في الطبعة الجديدة . كباب افعال المغالبة مثل جاودتهُ فجُدتهُ اي غلبتهُ في الجود وكتفسير معاني حروف المجاء وغير ذلك فكيف نقضي بصحَّة هذه وفساد تلك ؟ ولعلَّ بعض هذه النسخ مع ما طرأ عليها من الاغلاط الناشئ هي الاصلية دون النسخة التي أُخذت عنها الطبعة الجديدة . وزد على ذلك انَّ المؤلف عاش دهراً طويلاً من بعد تأليفهِ فامكنهُ ان يكتب منهُ نسخاً عديدة زاد في بعضها ونقّص وحسّن ونقّح فلم لا تكون هذه النسخ المختلفة جميعها لهُ الّا ان بعضها دون بعض في الحسن والاصلاح

وعلى كل حال انّنا نتمنّى ان يُبطل مُجدّدو طبع هذا الكتاب الجليل حجتنا بادلّة اقوى من الدليل السابق مثلاً بان يعرفونا تاريخ الكتاب او يقابلوا بين خطّ نسختهم وخطوط اخرى كُتبت بيد الحبر العلّامة جرمانوس فرحات وفي مكتبتنا الشرقيَّة كتاب بخطّ يدهِ الطاهرة يمكننا الاستدلال بهِ على اصل النسخة المرقومة . ويا حبّذا لو اتحفنا اصحاب هذه الطبعة بصفحة من الاصل الخطيّ مأخوذة بالفوتوغراف كما هو دأب العلماء المحقّقين (المشرق)

٢) ونأخذ على هذه الطبعة الجديدة بعض المآخذ : (اوّلها) اختلاف اصحابها في طريقة الطبع فانَّ الجزء الاول طُبع فيهِ المتن بحرف كبير والشرح في ذيلهِ بحرف اصغر بخلاف الجزء الثاني فان حرفهُ كلَّهُ صغير والشروح ممزوجة بالمتن فلا يكاد المطالع يميّز بين نصّ المؤلف وحواشي

مطلب رابع في الكتاب مختصرًا

لقد صادف هذا الكتاب — كما رأيت — حظًّا واقبالًا في اطواره السابق الايماء اليها ولم يعدم ذلك في هذا طوره الرابع. فانصرفت همم بعض العلماء الى تلخيصه واختصاره مع انهُ مختصر كما علمت. وذلك بلا ريب دليل على « قرب موعده وعذوبة مورده » كما قال الاستاذ اللغوي سعيد افندي الشرتوني. فاختصرهُ بادئ ذي بدء البطريرك مكسيموس مظلوم اذ كان بعدُ مطرانًا ودعاه « الاصول الصرفية والقواعد النحوية » وطبعهُ في رومية العظمى سنة ١٨٣٠ لافادة تلاميذ مدرسة عين تراز الملكية الاكليركية (١ ثمَّ خصتهُ مطبعة مالطة الاميركية تحت عنوان « الاجوبة الجلية في الاصول النحوية » وطبعتهُ في سنة ١٨٤١ (المشرق ٣: ٥٠٤) ثمَّ اختصرهُ المعلم بطرس البستاني تحت عنوان « مفتاح المصباح » وطبعهُ في المطبعة الاميركية البيروتية سنة ١٨٦٢ (المشرق ٣: ٥٠٦) وجعلهُ كمصباح يهتدي بهِ الطالب الى بحث المطالب (٢

الشارح. (ثانيها) انَّ هذه الطبعة دون الطبعات السابقة من حيث اتقان الطبع وجودة الورق لا سيما الجزء الثاني. (ثالثها) انَّ متولي طبعها مع كثرة ما استفادوا من طبعتي المعلمين الفاضلين بطرس البستاني والشيخ سعيد افندي الشرتوني اهملوا ان يذكروا اسمها كانهم لم يعلموا بوجودهما. (رابعها) انَّ في هذه الطبعة اغلاطًا طبعية عديدة لم ينبَّه اليها في آخر الكتاب. كما ترى في الجزء الاول بين الصفحتين ١٠٣ و١٠٢ في الحواشي وكتولهِ مرتين (ص ١١١): « ضفضع » بدلًا من « ضفدع ». وفي الجزء الثاني (ص ١١٢: « تكون الشالا » والصواب « تكون الثالا » وفيهِ (ص ١٠٨): « ولا وزٌّ مسًّا فضى الله واقيًا » والصواب « وزرٌ » وفيهِ (ص ١١٠): « الى حمامنا » والصواب « حمامتنا ». وكذلك كنَّا احببنا لو اشار الشارح في القسم الاول الى ما بيَّنهُ حضرة الفاضل الذري الاب حنَّا خليل مرتا في المشرق (٢: ٩٧٧) بخصوص أفعال جمع قِلَّة فلا يقول (ص ٢٦١) « انَّ هذا الجمع غير مقيس في مذهب الجمهور » وقد اثبت حضرتهُ قياس هذا الجمع بثلاثمائة وثلاثين مثلًا. (خامسها) انَّ الشارح لم يحاشِ بعض امثالهِ غزليَّة في كتابٍ يتداولهُ صغار المدارس (المشرق)

١) راجعنا كتاب « الاصول الصرفية والقواعد النحوية » للسعيد الذكر مكسيموس مظلوم فرأيناهُ كتابًا مستقلًّا بذاتهِ لا تلخيصًا من بحث المطالب وانما استفاد فقط مؤلفهُ الجليل من البحث كما اشار الى ذلك في مقدمتهِ (المشرق)

٢) لم يُشعر المعلم بطرس البستاني في مفتاح المصباح انهُ اختصر كتاب بحث المطالب ولكليهما طريقة مختلفة قائمة بذاتها (المشرق)

خاتمة

بعد تسطير ما تقدَّم خطر على البال ما اكَّدهُ لي بعض الاصحاب من وهم عمَّ وساد على عقول الكثيرين وهو انَّ البحث الكبير مزقهُ الاستاذ الكبير الشيخ سليمان الحلبي الشهير لمَّا عرضهُ عليهِ تلميذهُ المؤلف حسدًا منهُ وبغضًا. فعاد اذ ذاك الى تأليف كتابه المختصر المتعارف اليوم بين ايدي الجمهور ولكن هذا القول منقوض من وجوه احدُها اولًا ما بسطناهُ في المطلب الاول ملخصًا عن اصدق الرواة الذين يركن اليهم كما رأيت. ثانيًا ان المؤلف ألف الكتاب في لبنان في حين انهُ لم يكن محتاجًا الى ان يعرضهُ على استاذه المذكور. وهب انهُ عرضهُ عليهِ فلا يتأتى لعقل عاقل ان يتصور ان مؤلَّفهُ المشار اليهِ لا يبقي عندهُ نسخة منهُ. ثالثًا لو طالعت نتف كتاب جامع الروايات الآنف الذكر لقضيت عجبًا ممَّا كان يبديه الاستاذ المذكور من الاعجاب البالغ من تلميذه المؤلف حتى انهُ كان يبكي فرحًا كلما قرأ شيئًا من مؤلفاته. ولا يتصوَّر انَّ من كانت هذه صفتهُ يقدم على ذلك الفعل الشنيع. والذي يظهر لي ان هذا الخبر محرَّف عمَّا رويناه في المطلب الثاني كما يظهر بادنى تأمل

فهذا ما كان من امر هذا الكتاب النادر المثال مؤلَّفًا ومخطوطًا ومطبوعًا ومختصرًا فعلى مؤلِّفهِ الشهير رحمة الله ورضوانهُ ما تلا الطالب منهُ حرفًا او حروفًا

الايقاع في الشعر العربي

للاب خليل اده اليسوعي (تابع لما سبق)

٤

من جملة الايقاعات التي اوردها صفي الدين البغدادي في رسالتهِ الشرفيَّة دورٌ غنائي يسمَّى الزمل هذه احدى صورهِ :

فَعِلاتنْ فَعِلاتنْ ثمَّ يُعاد (١

٢٠٢٠١٠١٠ ٢٠٢٠١٠١٠

(١) كنَّا اشرنا في اوَّل مقالتنا الى الزمن بخطٍّ مستقيم والى النقرات بنقط ولكنَّا حبَّا بالاختصار اهملنا هذه الخطوط وكنَّينا عن الازمنة ومقاديرها بالاعداد. وكذلك كان يجب ايضًا في آخر كل دور رسم اوَّل نقرة من الدور التالي لأنَّ تحديد كلّ زمن يقتضي نقرتين. فضربنا عن رسمها صفحًا واعتبرناها متذرَّة